أستاذي الدكتور عبد العزيز شوحة كما عرفته[*]

بقلم: أ.د. مسعود فلوسي

فقدت مدينة باتنة، وكلية اللغة والأدب العربي في جامعة باتنة1 بالخصوص، أحد رجال التربية والتعليم فيها الذين قضوا عشرات السنين من أعمارهم مسخِّرين أنفسهم ومضحين بكل ما يملكون من جهد وطاقة في سبيل تعليم الأجيال وتربية الشباب على حب العلم والحرص على تحصيله والانتفاع منه ونفع الناس به. إنه الدكتور عبد العزيز شوحة رحمه الله الذي التحق بالرفيق الأعلى في ساعة باكرة من يوم الثلاثاء 21 جوان 2022م، وتم دفن جثمانه بعد صلاة الظهر من نفس اليوم في مقبرة المدينة بحضور جمع غفير من إخوانه وأحبابه وأصدقائه وزملائه وتلاميذه.

[*] . مقال منشور في جريدة "الوسط" اليومية الجزائرية، العدد 5880، ليوم الخميس 23 ذو القعدة 1443هـ، الموافق 23 جوان 2022م، الصفحة: 09.

علاقتي بالأستاذ

عرفتُ أستاذنا عبد العزيز شوحة رحمه الله منذ ثمان وثلاثين سنة (أي منذ سنة 1984)، وذلك حين جاء ليدرسنا المواد الشرعية المقررة علينا نحن التلاميذ الموجَّهين لتخصص العلوم الإسلامية في سنتنا الأولى بثانوية عائشة أم المؤمنين في حي بوزوران بمدينة باتنة، وكان حينئذ حديث عهد بالتخرج بشهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي من معهد الآداب بجامعة باتنة. لقد لاحظتُ من أول يوم أن هذا الأستاذ يختلف عن كثير من الأساتذة الذين عرفتهم من قبل اختلافا كبيرا، فهو إضافة إلى تدينه الصادق الذي استشعرتُه - رغم صغر سني - من مظهره وكلامه وتصرفاته، كان حريصا على تحضير دروسه تحضيرا جيدا وشرحها شرحا مستفيضا وتقديمها في قالب يجعل التلاميذ يُقبلون عليها ويهتمون باستيعابها، ثم هو لم يكن يكتفي بالتعليم فقط وإنما كان مربيا مخلصا وناصحا أمينا وموجها مرشدا.

وبالنسبة لي شخصيا فقد انبهرتُ بهذا الأستاذ وأعجبتُ بأسلوبه في التدريس وتأثرتُ بشخصيته المتميزة، وهو ما جعلني أولي المواد التي كنا ندرسها عنده اهتماما خاصا، فكنت أحَضِّرُ الدرسَ قبل أن يُلقِيَهُ علينا وأشاركُ بالسؤال والمناقشة، مما لفت انتباهه إليَّ وجعله يهتم بي ويُوليني رعاية خاصة ويُقربني إليه، فكنت في كثير من الأحيان - عندما نخرج في نفس الوقت من الثانوية - أرافقه في طريقه إلى الجامعة - التي انتمى إليها من جديد بعد نجاحه في مسابقة الماجستير - والذي كان هو نفس طريقي إلى البيت، فأسمع منه الكثير من المعلومات والأفكار التي كانت تطرق سمعي لأول مرة، فقد حدثني كثيرا عن مالك بن نبي وأفكاره الحضارية وسرد لي – من ذاكرته - الكثير من فقرات كتبه التي كان يحفظ أكثرها عن ظهر قلب. كما حدثني عن غيره من العلماء والمفكرين والدعاة الذين كانت تعج بهم الساحة الإسلامية في تلك المرحلة الزاهرة من ثمانينيات القرن الماضي وشجعني على قراءة كتبهم ومقالاتهم. ولما رأى اهتمامي وحرصي أصبح يُعِيرُني الكتب والمجلات ويُشجعني على قراءتها، ويسألني عما استفدته منها ويحاورني في بعض ما تضمنته من معلومات وأفكار.

ثم تطورت علاقتي به، حين صرت أتابع نشاطه الدعوي في الأحياء الجامعية، حيث كانت له دروس ومحاضرات ومشاركات في مختلف الندوات التي كانت تعقد في مساجد الأحياء الجامعية بمدينة باتنة، وكان له فيها حضور قوي ونشاط حثيث، كما كنت أحضر وأتابع خطبه التي كان يلقيها كل جمعة. وفي شهر رمضان كان يؤم الطلبة في مسجد الحي الجامعي عمار عاشوري أو في مسجد الحي الجامعي دوادي صالح فكنت أحرص على الصلاة خلفه، وقد كانت له نبرة خاصة في قراءة كتاب الله الذي كان يحفظه عن ظهر قلب.. كانت خطب أستاذنا ودروسه ومحاضراته ومشاركاته في المناسبات المختلفة، تحظى باهتمام الكثير من الطلبة حينئذ، وتستقطب حضورا كبيرا، لما كانت تتميز به من حسن اختيار الموضوعات وعمق الأفكار وبلاغة الأسلوب وفصاحة العبارات وتنوع المعلومات وغزارتها، وأكثر ما كان يميزها هو حضور القرآن فيها، إذ كان الأستاذ يغرف منه ما شاء الله له أن يغرف من نصوص يُقوي بها حُجَجَه ويُدَعِّم أفكاره، بل إن الأستاذ كان يتفنن في تفسير القرآن وتقليب الآيات القرآنية على وجوهها المختلفة والتعمق في معانيها بما حباه الله من علم غزير وفهم عميق وبما استفاده من قراءاته الواسعة في كتب التفسير ومنها خاصة "في ظلال القرآن" لسيد قطب.

دَرَّسَنا الأستاذ خلال السنوات الثلاثة للمرحلة الثانوية، وقد أتيح لي أن أحصل على شهادة البكالوريا وألتحق بالجامعة، وفي نفس تلك المرحلة التحق هو بالخدمة الوطنية، لكن العلاقة بيننا لم

تنقطع، فكان كلما جاء في عطلة يتصل بي ونلتقي ونجدد العهد مع العلم والفكر. وبعد انتهائه من أداء واجبه الوطني عاد إلى باتنة ملتحقا من جديد بالتعليم الثانوي، فكانت الفرص كثيرة ومتاحة للقاء والتواصل. كانت تلك العلاقة هي المرحلة الأولى لعلاقة طويلة ربطتني بالأستاذ منذ تلك الأيام؛ علاقة تلمذة واستفادة أولا، ثم علاقة صداقة عميقة وأخوة متينة ومحبة قوية لم تزدها الأيام إلا رسوخا وثباتا واستمرار ومتانة.

نشاطه وابتلاؤه

كان النشاط الدعوي غالبا على أستاذنا، ولذلك لم يتردد في الاستجابة للاقتراح الذي قُدم له من قبل مديرية الشؤون الدينية بولاية باتنة في تلك المرحلة للانتداب إلى قطاع الشؤون الدينية، وفعلا توقف عن التعليم الثانوي والتحق بسلك الإمامة، وتم تكليفه بالإمامة والخطابة في المسجد العتيق بمدينة تازولت، وهناك كنت أزوره كل يوم جمعة لأستمع إلى خطبته وأصلي خلفه.

لكن هذه التجربة لم تدم طويلا، فقد قرر الأستاذ التوقف عن مواصلة هذه المهمة والعودة إلى التعليم الثانوي، بعد أن بدأت أزمة التسعينيات وصار الأئمة والخطباء محل ضغوط وتهديدات. إلا أن انسحاب الأستاذ من الإمامة والخطابة والدروس المسجدية لم يعصمه من الأذى فقد طاله ضمن كثيرين ممن طالهم في تلك المرحلة الحرجة من مسيرة البلاد.

وقد كان لذلك الأذى الذي تعرض له أثرٌ عميق في نفسه، حيث تسبب له في أمراض وآلام نفسية ومشكلات اجتماعية ظل يعاني منها طيلة ثلاثين سنة. لقد تقلبت الأيام بأستاذنا، وأرته من وجهها الكالح ما لا يمكن وصفه، وألحقت به محنا وابتلاءات ظلت ملازمة له إلى آخر يوم في حياته، ابتلاءات متتابعة كان من أبرزها الأمراض التي أصيب بها وجعلت حياته تتحول إلى كتلة من المعاناة التي واجهها بكل صبر وثبات وتسليم لأمر الله. تلك الابتلاءات والمحن التي عطلت إتمامه لرسالة الماجستير سنوات طويلة، وهو ما حرمه من الالتحاق بالجامعة كأستاذ إلا في مرحلة متأخرة جدا. وحتى بعد التحاقه بالجامعة أستاذا مساعدا لم يتمكن من إنهاء أطروحته لنيل الدكتوراه إلا بعد عدة سنوات، وهو ما حرمه من الترقي في الرتب العلمية التي يستحقها.

ومما زاد آلام أستاذنا حِدة ومعاناته شِدة؛ أنه لم يجد إلا القليلَ من معارفه ممن وقف معه في مواجهة تلك المحن والابتلاءات، فقد أعرض عنه الكثيرون ممن كانوا يتمسحون بأعتابه ويستفيدون من علمه وأفكاره، وتجاهلوا معاناته في عز أزمته ومرضه وحاجته إلى المساعدة والمساندة.

شِيَمُه وخصاله

لقد حبا الله أستاذنا عبد العزيز شوحة بخصال فذة وشيم نادرة قلَّ أن تجتمع في شخص واحد؛ يأتي على رأسها إيمانه العميق بالله عز وجل ورضاه بما قضاه له وقدره عليه، وتسليمُه لأمره في كل شؤونه. ومنها؛ صبره وثباته وتحمله وتجمله وعدم سخطه على ما حل به. ومنها؛ وفاؤه لأساتذته وذوي الفضل عليه. ومنها؛ حبه لإخوانه ومودته لهم – على الرغم مما لحقه من بعضهم – حيث لم يحمل يوما حقدا أو

ضغينة لأحد. ومنها؛ عِفة لسانه وكفه له عن إيذاء غيره، فلم أسمعه يوما يخوض في عرض واحد من معارفه أو زملائه أو غيرهم، أو يخاطب أحدا بما يجرح إحساسه أو يترك أثرا في نفسه. ومنها؛ كرَمُه غير المحدود – على الرغم من معاناته المادية - المتمثل في إعارة كتبه لمن يطلبها منه رغم ما أنفقه من مال في سبيل الحصول عليها ورغم حبه الشديد لها وحرصه عليها، مما كان سببا في ضياع الكثير منها وعدم إرجاعها إليه. ومنها؛ تفانيه في عمله واجتهادُه في إتقان ما يُسند إليه من أعمال وما يُكلف به من مهام، حتى وإن كانت أعمالا تطوعية كدروس مسجدية أو محاضرات في مناسبات.

آثاره العلمية والفكرية

هذا، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهها أستاذنا والمعاناة التي ظل يكابدها، إلا أنه كان حريصا على أن تكون له مشاركاته الفكرية المتميزة التي كان دائبا على نشرها في شكل مقالات في جرائد مطبوعة أو في مواقع إلكترونية، ففي النصف الثاني من التسعينيات نشر الكثير من المقالات تحت عنوان عام هو "الإسلام ومشكلاتنا المعاصرة" في جريدة "رسالة الأطلس" التي كانت تصدر في مدينة باتنة. كما نشر في السنوات الأخيرة مقالات عديدة في جريدة "الأوراس نيوز" اليومية التي تصدر من باتنة كذلك. أما إلكترونيا فقد نشر مقالات كثيرة في عدة مواقع منها بصفة خاصة موقع الشهاب وموقع الحوار المتمدن وغيرها من المواقع الإلكترونية. وإذا جُمعت هذه المقالات فيمكن أن تشكل ثلاثة كتب أو أكثر.

وأما الآثار العلمية فتتمثل في رسالته التي نال بها درجة الماجستير وكانت في موضوع "منهج ابن عطية في ضبط الألفاظ في تفسيره المحرر الوجيز"، وقد أعدها تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم عوفي. وأطروحته التي نال بها شهادة الدكتوراه وكان عنوانها "منهج الاحتجاج اللغوي للقراءات القرآنية وتوجيهها"، والتي أشرف عليه في إعدادها الأستاذ الدكتور بلقاسم ليبارير. وكل من العملين رسالة علمية متميزة بذل الأستاذ في جمع مادتها وتحريرها كل ما توفر له من جهد وطاقة. إضافة إلى بحث علمي نشره في مجلة "الإحياء" التي تصدرها كليتنا والتي أرأس تحريرها، وكان عنوانه "ظاهرة الأحرف السبعة في القرآن الكريم ودورها في الحفاظ على اللسان العربي".

تواصل علاقتي به إلى آخر لحظة

كان أستاذنا كثير الاتصال بي، فلا يكاد يمر يوم إلا ويهاتفني ويحادثني في موضوعات مختلفة ويفضي إليَّ بأشجانه وهمومه، لكنه في المدة الأخيرة انقطع عن الاتصال لحوالي أسبوع، ثم لما خطر في بالي أن أكلمه لأسأل عن أحواله إذا به يبادر إلى مكالمتي مساء يوم الأحد 19 جوان، وقد لاحظت أن كلامه كان متقطعا وصوته متهدجا وأخبرني أنه مريض، ومما قاله لي: "إني أطلب منك أن تسعى في نشر رسالتي في الماجستير وأطروحتي في الدكتوراه".. وبما أني كنت مشغولا بعمل في ذلك الحين فقد استأذنته في معاودة الاتصال فيما بعد إن شاء الله. لكن شاء الله عز وجل أن تكون تلك هي المكالمة الأخيرة وأن يكون طلبه بمثابة وصية حَمَّلنيها، وأسأل الله عز وجل أن يُعينني على تحقيقها، إذ فوجئت بالخبر الفاجع برحيله عن الدنيا الفانية إثر نوبة قلبية ألمت به، هذه النوبة التي لم تكن سوى سبب ظاهري

انطوى فيه الأجل المحتوم الذي لا يملك أي إنسان أن ينفك عنه، قال تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) [الأعراف: 34].

رحم الله أستاذنا عبد العزيز شوحة، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، وألهم والدته وزوجته وأولاده وإخوته وكل محبيه الصبر والسلوان، ووفقنا إلى السير على نهجه واقتفاء أثره فيما كان عليه من إخلاص لله وحب لإخوانه المؤمنين وحرص على إتقان عمله ونفع طلبته وخدمة دينه وإصلاح مجتمعه.. إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا لفراقك يا أستاذنا الحبيب لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

مدينة باتنة تودع أحد أعلامها

أستاذي الدكتور عبد العزيز شوحة كما عرفته

بقلم: أ.د. مسعود فلوسي

فقدت مدينة باتنة، وكلية اللغة والأدب العربي في جامعة باتنة1 بالخصوص، أحد رجال التربية والتعليم فيها الذين قضوا عشرات السنين من أعمارهم مسخّرين أنفسهم ومضحين بكَل ما يملكون من جهد وطاقة في سبيل تعليم الأجيال وتربية الشباب على حب العلم والحرص على تحصيله والانتفاع منه ونفع الناس به.

إنه الدكتور عبد العزيز شوحة رحمه الله الذي التحق بالرفيق الأعلى في ساعة باكرة من يوم الثلاثاء 21 جوان 2022م، وتم دفن جثمانه بعد صلاة الظهر من نفس اليوم في مقبرة المدينة بحضور جمع غفير من إخوانه وأحبابه وأصدقائه وزملائه وتلاميذه.

علاقتي بالأستاذ

عرفتُ أستاذنا عبد العزيز شوحة رحمه الله منذ ثمان وثلاثين سنة (أي منذ سنة 1984)، وذلك حين جاء ليدرسنا المواد الشرعية المقررة علينا نحن التلاميذ الموجّهين لتخصص العلوم الإسلامية في سنتنا الأولى بثانوية عائشة أم المؤمنين في حي بوزوران بمدينة باتنة، وكان حينئذ حديث عهد بالتخرج بشهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي من معهد الآداب بجامعة باتنة. لقد لاحظتُ من أول يوم أن هذا الأستاذ يختلف عن كثير من الأساتذة الذين عرفتهم من قبل اختلافا كبيرا، فهو إضافة إلى تدينه الصادق الذي استشعرتُه – رغم صغر سني – من مظهره وكلامه وتصرفاته، كان حريصا على تحضير دروسه تحضيرا جيدا وشرحها شرحا مستفيضا وتقديمها في قالب يجعل التلاميذ يُقبلون عليها ويهتمون باستيعابها، ثم هو لم يكن يكتفي بالتعليم فقط وإنما كان مربيا مخلصا وناصحا أمينا وموجها مرشدا.

وبالنسبة لي شخصيا فقد انبهرتُ بهذا الأستاذ وأعجبتُ بأسلوبه في التدريس وتأثرتُ بشخصيته المتميزة، وهو ما جعلني أولي المواد التي كنا ندرسها عنده اهتماما خاصا، فكنت أَحَضِّرُ الدرسَ قبل أن يُلقيَهُ علينا وأشاركُ بالسؤال والمناقشة، مما لفت انتباهه إليّ وجعله يهتم بي ويُوليني رعاية خاصة ويُقربني إليه، فكنت في كثير من الأحيان – عندما نخرج في نفس الوقت من الثانوية – أرافقه في طريقه إلى الجامعة – التي انتمى إليها من جديد بعد نجاحه في مسابقة الماجستير – والذي كان هو نفس طريقي إلى البيت، فأسمع منه الكثير من المعلومات والأفكار التي كانت تطرق سمعي لأول مرة، فقد حدثني كثيرا عن مالك بن نبي وأفكاره الحضارية وسرد لي – من ذاكرته – الكثير من فقرات كتبه التي كان يحفظ أكثرها عن ظهر قلب. كما حدثني عن غيره من العلماء والمفكرين والدعاة الذين كانت تعج بهم الساحة الإسلامية في تلك المرحلة الزاهرة من ثمانينيات القرن الماضي وشجعني على قراءة كتبهم ومقالاتهم. ولما رأى اهتمامي وحرصي أصبح يُعيرُني الكتب والمجلات ويُشجعني على قراءتها، ويسألني عما استفدته منها ويحاورني في بعض ما تضمنته من معلومات وأفكار.

ثم تطورت علاقتي به، حين صرت أتابع نشاطه الدعوي في الأحياء الجامعية، حيث كانت له دروس ومحاضرات ومشاركات في مختلف الندوات التي كانت تعقد في مساجد الأحياء الجامعية بمدينة باتنة، وكان له فيها حضور قوي ونشاط حثيث، كما كنت أحضر وأتابع خطبه التي كان يلقيها كل جمعة. وفي شهر رمضان كان يؤم الطلبة في مسجد الحي الجامعي عمار عاشوري أو في مسجد الحي الجامعي دوادي صالح فكنت أحرص على الصلاة خلفه، وقد كانت له نبرة خاصة في قراءة كتاب الله الذي كان يحفظه عن ظهر قلب.. كانت خطب أستاذنا ودروسه ومحاضراته ومشاركاته في المناسبات المختلفة، تحظى باهتمام الكثير من الطلبة حينئذ، وتستقطب حضورا كبيرا، لما كانت تتميز به من حسن اختيار الموضوعات وعمق الأفكار وبلاغة الأسلوب وفصاحة العبارات وتنوع المعلومات وغزارتها، وأكثر ما كان يميزها هو حضور القرآن فيها، إذ كان الأستاذ يغرف منه ما شاء الله له أن يغرف من نصوص يُقوي بها حُجَجَه ويُدَعِّم أفكاره، بل إن الأستاذ كان يتفنن في تفسير القرآن وتقليب الآيات القرآنية على وجوهها المختلفة والتعمق في معانيها بما حباه الله من علم غزير وفهم عميق وبما استفاده من قراءاته الواسعة في كتب التفسير ومنها خاصة «في ظلال القرآن» لسيد قطب.

دَرّسَنا الأستاذ خلال السنوات الثلاثة للمرحلة الثانوية، وقد أتيح لي أن أحصل على شهادة البكالوريا وألتحق بالجامعة، وفي نفس تلك المرحلة التحق هو بالخدمة الوطنية، لكن العلاقة بيننا لم تنقطع، فكان كلما جاء في عطلة يتصل بي ونلتقي ونجدد العهد مع العلم والفكر. وبعد انتهائه من أداء واجبه الوطني عاد إلى باتنة ملتحقا من جديد بالتعليم الثانوي، فكانت الفرص كثيرة ومتاحة للقاء والتواصل. كانت تلك العلاقة هي المرحلة الأولى لعلاقة طويلة ربطتني بالأستاذ منذ تلك الأيام؛ علاقة تلمذة واستفادة أولا، ثم علاقة صداقة عميقة وأخوة متينة ومحبة قوية لم تزدها الأيام إلا رسوخا وثباتا واستمرار ومتانة.

نشاطه وابتلاؤه

كان النشاط الدعوي غالبا على أستاذنا، ولذلك لم يتردد في الاستجابة للاقتراح الذي قُدم له من قبل مديرية الشؤون الدينية بولاية باتنة في تلك المرحلة للانتداب إلى قطاع الشؤون الدينية، وفعلا توقف عن التعليم الثانوي والتحق بسلك الإمامة، وتم تكليفه بالإمامة والخطابة في المسجد العتيق بمدينة تازولت، وهناك كنت أزوره كل يوم جمعة لأستمع إلى خطبته وأصلي خلفه.

لكن هذه التجربة لم تدم طويلا، فقد قرر الأستاذ التوقف عن مواصلة هذه المهمة والعودة إلى التعليم الثانوي، بعد أن بدأت أزمة التسعينيات وصار الأئمة والخطباء محل ضغوط وتهديدات. إلا أن انسحاب الأستاذ من الإمامة والخطابة والدروس المسجدية لم يعصمه من الأذى فقد طاله ضمن كثيرين ممن طالهم في تلك المرحلة الحرجة من مسيرة البلاد.

وقد كان لذلك الأذى الذي تعرض له أثرٌ عميق في نفسه، حيث تسبب له في أمراض وآلام نفسية ومشكلات اجتماعية ظل يعاني منها طيلة ثلاثين سنة. لقد تقلبت الأيام بأستاذنا، وأرته من وجهها الكالح ما لا يمكن وصفه، وألحقت به محنا وابتلاءات ظلت ملازمة له إلى آخر يوم في حياته، ابتلاءات متتابعة كان من أبرزها الأمراض التي أصيب بها وجعلت حياته تتحول إلى كتلة من المعاناة التي واجهها بكل صبر وثبات وتسليم لأمر الله. تلك الابتلاءات والمحن التي عطلت إتمامه لرسالة الماجستير سنوات طويلة، وهو ما حرمه من الالتحاق بالجامعة كأستاذ إلا في مرحلة متأخرة جدا. وحتى بعد التحاقه بالجامعة أستاذا مساعدا لم يتمكن من إنهاء أطروحته لنيل الدكتوراه إلا بعد عدة سنوات، وهو ما حرمه من الترقي في الرتب العلمية التي يستحقها.

ومما زاد آلام أستاذنا حدة ومعاناته شدة؛ أنه لم يجد إلا القليلَ من معارفه مِمن وقف معه في مواجهة تلك المحن والابتلاءات، فقد أعرض عنه الكثيرون ممن كانوا يتمسحون بأعتابه ويستفيدون من علمه وأفكاره، وتجاهلوا معاناته في عز أزمته ومرضه وحاجته إلى المساعدة والمساندة.

شِيَمُه وخصاله

لقد حبا الله أستاذنا عبد العزيز شوحة بخصال فذة وشيم نادرة قلّ أن تجتمع في شخص واحد؛ يأتي على رأسها إيمانه العميق بالله عز وجل ورضاه بما قضاه له وقدره عليه، وتسليمُه لأمره في كل شؤونه. ومنها؛ صبره وثباته وتحمله وتجمله وعدم سخطه على ما حل به. ومنها؛ وفاؤه لأساتذته وذوي الفضل عليه. ومنها؛ حبه لإخوانه ومودته لهم – على الرغم مما لحقه من بعضهم – حيث لم يحمل يوما حقدا أو ضغينة لأحد. ومنها؛ عِفة لسانه وكفه له عن إيذاء غيره، فلم أسمعه يوما يخوض في عرض واحد من معارفه أو زملائه أو غيرهم، أو يخاطب أحدا بما يجرح إحساسه أو يترك أثرا في نفسه. ومنها؛ كرَمُه غير المحدود – على الرغم من معاناته المادية – المتمثل في إعارة كتبه لمن يطلبها منه رغم ما أنفقه من مال في سبيل الحصول عليها ورغم حبه الشديد لها وحرصه عليها، مما كان سببا في ضياع الكثير منها وعدم إرجاعها إليه. ومنها؛ تفانيه في عمله واجتهادُه في إتقان ما يُسند إليه من أعمال وما يُكلف به من مهام، حتى وإن كانت أعمالا تطوعية كدروس مسجدية أو محاضرات في مناسبات.

آثاره العلمية والفكرية

هذا، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهها أستاذنا والمعاناة التي ظل يكابدها، إلا أنه كان حريصا على أن تكون له مشاركاته الفكرية المتميزة التي كان دائبا على نشرها في شكل مقالات في جرائد مطبوعة أو في مواقع إلكترونية، ففي النصف الثاني من التسعينيات نشر الكثير من المقالات تحت عنوان عام هو «الإسلام ومشكلاتنا المعاصرة» في جريدة «رسالة الأطلس» التي كانت تصدر في مدينة باتنة. كما نشر في السنوات الأخيرة مقالات عديدة في جريدة «الأوراس نيوز» اليومية التي تصدر من باتنة كذلك. أما إلكترونيا فقد نشر مقالات كثيرة في عدة مواقع منها بصفة خاصة موقع الشهاب وموقع الحوار المتمدن وغيرها من المواقع الإلكترونية. وإذا جُمعت هذه المقالات فيمكن أن تشكل ثلاثة كتب أو أكثر.

وأما الآثار العلمية فتتمثل في رسالته التي نال بها درجة الماجستير وكانت في موضوع «منهج ابن عطية في ضبط الألفاظ في تفسيره المحرر الوجيز»، وقد أعدها تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم عوفي.

وأطروحته التي نال بها شهادة الدكتوراه وكان عنوانها «منهج الاحتجاج اللغوي للقراءات القرآنية وتوجيهها»، والتي أشرف عليه في إعدادها الأستاذ الدكتور بلقاسم ليبارير. وكل من العملين رسالة علمية متميزة بذل الأستاذ في جمع مادتها وتحريرها كل ما توفر له من جهد وطاقة. إضافة إلى بحث علمي نشره في مجلة «الإحياء» التي تصدرها كليتنا والتي أرأس تحريرها، وكان عنوانه «ظاهرة الأحرف السبعة في القرآن الكريم ودورها في الحفاظ على اللسان العربي».

تواصل علاقتي به إلى آخر لحظة

كان أستاذنا كثير الاتصال بي، فلا يكاد يمر يوم إلا ويهاتفني ويحادثني في موضوعات مختلفة ويفضي إليّ بأشجانه وهمومه، لكنه في المدة الأخيرة انقطع عن الاتصال لحوالي أسبوع، ثم لما خطر في بالي أن أكلمه لأسأل عن أحواله إذا به يبادر إلى مكالمتي مساء يوم الأحد 19 جوان، وقد لاحظت أن كلامه كان متقطعا وصوته متهدجا وأخبرني أنه مريض، ومما قاله لي: «إني أطلب منك أن تسعى في نشر رسالتي في الماجستير وأطروحتي في الدكتوراه».. وبما أني كنت مشغولا بعمل في ذلك الحين فقد استأذنته في معاودة الاتصال فيما بعد إن شاء الله. لكن شاء الله عز وجل أن تكون تلك هي المكالمة الأخيرة وأن يكون طلبه بمثابة وصية حَمّلنيها، وأسأل الله عز وجل أن يُعينني على تحقيقها، إذ فوجئت بالخبر الفاجع برحيله عن الدنيا الفانية إثر نوبة قلبية ألمت به، هذه النوبة التي لم تكن سوى سبب ظاهري انطوى فيه الأجل المحتوم الذي لا يملك أي إنسان أن ينفك عنه، قال تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) [الأعراف: 34].

رحم الله أستاذنا عبد العزيز شوحة، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، وألهم والدته وزوجته وأولاده وإخوته وكل محبيه الصبر والسلوان، ووفقنا إلى السير على نهجه واقتفاء أثره فيما كان عليه من إخلاص لله وحب لإخوانه المؤمنين وحرص على إتقان عمله ونفع طلبته وخدمة دينه وإصلاح مجتمعه.. إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا لفراقك يا أستاذنا الحبيب لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.